الخطاب الإسلامي ومعالمه ومرجعياته وتحدياته
بين الواقع والمأمول

د . أنس محمد عوض الخلايلة

أستاذ مساعد في كلية الشريعة – جامعة الزرقاء – لأردن

ملخص :

الخطاب الإسلامي منوط بالعلماء، ومفتاح تجديد الخطاب الديني الإسلامي هو الوعي والفهم للإسلام من ينابيعه الصافية بحيث يفهم فهمًا سليمًا خالصًا من الشوائب، بعيدًا عن تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، ونحن بحاجة لمشروع يجمع بين القديم النافع والجديد الصالح، ويدعو إلى الانفتاح على العالم دون الذوبان فيه، منهجه الثبات على الأهداف، والمرونة في الوسائل، والتجديد في فهم الأصول، والتيسير في الفروع، وفي هذا البحث سنتعرف على معالم الخطاب الإسلامي ومرجعياته وتحدي .

كلمات مفتاحية : خطاب، تجديد، مرجعيات، آمال .

Abstract

Islamic discourse function of Islamic law scholars, The renewal of Islamic religious discourse is the key to awareness and understanding of Islam Springs from the net so that Islam understood purely a sound understanding of the impurities, Away from the noise of militants, And plagiarism, and the interpretation of the ignorant, and we need to project combines old beneficial and new interest, and calls for openness to the world without melting it, his method consistency on goals, and flexibility in the means, and renewal in understanding the assets, and facilitation in the branches, and in this paper you will learn the speech landmarks Islamic and its terms of reference and its challenges.

Keywords: speech, renovation, references, disappointin

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ﴾

[ص 17-20]

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين وعلى وصحبه أجمعين وبعد،

فإن أمتنا الإسلامية تمر اليوم بمراحل عصيبة، فرضتها عليها التشابكات الرهيبة في العلاقات الدولية، التي طفى على سطحها طغيان المصالح، واضطراب أحوال الكون، وولوج البشرية مرحلة جديدة من مراحل حياتها، الأمر الذي فرض على الأمة أن تتبوأ موقعها الذي تستحقه في المصفوفة الكونية، كي تأخذ حقها على خارطة الكون، لا أن تظل مهمشة منسية تنهش بها القوى الطامعة، تنهب خيراتها وتستغل إمكانياتها وتقطع أوصالها وتفكك بنيانها، وتهدم أساساتها .

فإن تخلت الأمة عن مسؤوليتها التالية : رسالتها سقطت حتى لاحراك لها وغطت في نوم لا استيقاظ بعده، لذا فان الواجب يحتم على كل فرد فيها أن يعد نفسه لشيء ذي قيمة، ليس هذا فحسب بل يجب عليه أن يشعر أنه جزء من الحل وأنه يشكل رقماً هاماً لا يستطيع العالم تجاهله والتغاضي عنه .

وإنَّ أولى الواجبات في هذا المقام هي : أن نعرف موقعنا، ودورنا ونُعرّف العالم كله من شرقه إلى غربة ومن جنوبه إلى شماله بحقيقة العروبة والإسلام، كي يدرك أهمية الناتج والطرح الحضاري الإسلامي،وليعلم العالم أنه لا يستطيع تجاوز العرب والمسلمين مهما وصل إليه من التطور والتقدم، فأمة الإسلام خاصرة الحضارة وأصل العلوم، وعلى قيمهم وأرضهم ستنهض

البشرية من كبوتها الغارقة في المادية لتجد أن هذه الأرض بكل ما تحتويه، هي الحل القادم الذي يعيد للإنسانية وجهها المشرق .

ولا شك أن وصول الأمة إلى ما وصلت إليه من تخلف في شتى الميادين جعلها فريسة لما يعرف بالغزو الفكري والثقافي . هذه التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية تحتاج منا المساهمة بكل ما نستطيع لعودتها إلى ريادتها مرة أخرى، ومن ضمن هذه الجهود تجديد الخطاب الديني . ومفتاح تجديد الخطاب الديني الإسلامي هو الوعي والفهم للإسلام من ينابيعه الصافية بحيث يفهم فهمًا سليمًا خالصًا من الشوائب، بعيدًا عن تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين. فنحن في حاجة ماسة إلى رجال يحسنون عرض الفكر الإسلامي ويصيغونه صياغة جيدة، تنقي الفكر من الخرافة، والعقيدة من الشرك، والعبادة من البدع والأهواء، والأخلاق من التحلل والانهيار. رجال يتبنون كل تجديد مشروع يجمع بين القديم النافع والجديد الصالح، ويدعو إلى الانفتاح على العالم دون الذوبان فيه، منهجهم الثبات على الأهداف، والمرونة في الوسائل، والتجديد في فهم الأصول، والتيسير في الفروع .

من أجل ذلك نطرح التساؤلات التالية :

- ما السبيل إلى هذه النهضة؟
- وما والوسائل التي يتوجب إتباعها لإيصال رسالة الأمة إلى الأخر؟
- كيف نعالج العقبات التي تعترض هذا الطريق ؟...

ولعلنا نجيب هنا ونقول : بأن الحل بأيدينا وبين ظهرانينا ألا وهو الخطاب العربي، الإسلامي، الناضج، الحضاري، المتوازن، الواعي، المتحضر، ... المرتكز على الثوابت العربية الإسلامية، والقيم الحضارية لهذه الأمة، ولعلنا في هذا البحث أن نتعرف على واقع الخطاب الإسلامي وآماله . والبحث تجد فيه صعوبة تحديد المعالم وتشابك المفاهيم، وهو يحتاج إلى تفصيل وشرح وبيان، وضبط لمعالمه، وتحليل لرموزه وإشكالياته، وهذا ما دأبنا على تذليله مستعينين بالله المعين الكريم .

ولقد امتدح ربنا سبحانه وتعالى نبيا من أنبياءه بأنه آتاه فصل الخطاب، فقال تعالى : ﴿ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿١٩﴾ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [ص، 17-20]

والخطاب الإسلامي منوط بالعلماء وهو ما يؤكد عليه ابن قيم الجوزية « إذا كان منصب التوقيع عن الملوك بالمحل الذي لاينكر فضله ولا يجهل قدره وهو من أعلى المراتب السنيات فكيف بمنصب التوقيع عن رب الأرض والسماء» [(1)] .

خطة البحث : جاء البحث في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة :

المقدمة : بينا فيها أهمية البحث وصعوباته .

المبحث الأول : تعريف الخطاب الإسلامي وأصول مرجعياته .

المطلب الأول: تعريف الخطاب الإسلامي .

المطلب الثاني: أصول مرجعيات الخطاب الإسلامي .

المبحث الثاني : معالم الخطاب الإسلامي .

المطلب الأول : الثابت والمتغير في الخطاب الإسلامي .

المطلب الثاني : المعاصرة .

المطلب الثالث : مرجعيات الخطاب الإسلامي المعاصرة .

المبحث الثالث : تحديات الخطاب الإسلامي وآماله .

المطلب الأول : التحديات الداخلية والخارجية .

المطلب الثاني : المستقبل والحلول .

الخاتمة وفيها التوصيات والنتائج .

المبحث الأول : تعريف الخطاب الإسلامي وأصول مرجعياته :

سنتناول هذا المبحث من خلال مطلبين:الأول نُعرّف الخطاب لغة واصطلاحا، والثاني نُحدد فيه الأصول التي يعتمد عليها الخطاب الإسلامي.

المطلب الأول : تعريف الخطاب الإسلامي :

الخطاب في اللغة : الخطاب مشتق من الفعل(خطب) ويأتي على عدة معانٍ، منها : **الخَطب** وهو الشأن، أو الأمر؛ صغر، أو عظم، **الخِطبُ** : الذي يخطب المرأة، وهي خِطبة، **خَطَّاب** : كثير التصرّف في الخطب[2] .

الخطاب اصطلاحا : بالنظر في المعاني اللغوية السابقة يظهر أن المعنى المناسب للخطاب هو الشأن، أو الأمر، وهو مراجعة الكلام، يقال قد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً والمخاطبة مفاعلة من الخطاب .

نستطيع القول بأنَّ "**الخطاب** : لون من ألوان القول، يحشد له الخطيب من الأسباب ما يمكنه من التأثير في سامعيه، وجذبهم بما سوق من الحجج، والبراهين المقنعة"[3].

فالخطاب هو: إيصال الأفكار إلى الآخرين بواسطة الكلام المفهوم، واللغة في ذلك هي أداة الخطاب يعني وعاء الأفكار.

وبناءً على ذلك، فإننا نستطيع أن نقول إنّ الخطاب الإسلامي هو الإطار الأوسع للدعوة الإسلامية بالمفهوم العميق والشامل.

ويمكننا أن نعرف الخطاب الإسلامي تعريفاً أوَّليًّا بأنه :"الخطاب الذي يستند لمرجعية إسلامية من أصول القرآن والسنة، وأيٍّ من سائر الفروع الإسلامية الأخرى، سواء أكان منتج الخطاب جماعة إسلامية، أم مؤسسة دعوية رسمية، أو أهلية، أم أفراداً متفرقين جمعهم الاستناد للدين وأصوله مرجعيةً لرؤاهم وأطروحاتهم، ولإدارة الحياة السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية التي يحيونها، أو للتفاعل مع دوائر الهُويات القطرية، أو الأممية، أو دوائر الحركة الوظيفية التي يرتبطون بها ويتعاطون معها"[4].

وقد ورد لفظ الخطاب في عدة مواضع في القرآن الكريم منها :

1) قوله تعالى : ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [ص-20]

2) قوله تعالى : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ ﴾ [الفرقان-63]

3) قوله تعالى :﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۖ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [هود-37]

والحقيقة التي لا مراء فيها هو أن وجهات النظر قد اختلفت، فمن وجهة نظر المتخصصين يرون أن الخطاب الإسلامي :

1-إيصال الأفكار إلى الآخرين بواسطة الكلام المفهوم، واللغة في ذلك هي أداة الخطاب أو وعاء الأفكار.

2-كل نطق أو كتابة تحمل وجهة نظر محددة من المتكلم أو الكاتب ونفترض فيه التأثير على السامع أو القارئ، مع الأخذ بعين الاعتبار مجمل الظروف والممارسات التي تم فيها.

3-الخطاب الإسلامي : هو ما يطرحه العلماء والدعاة والمنتمون إلى المؤسسات الإسلامية في بيان الإسلام والشريعة،سواء كان ذلك من خلال الخطاب أو المحاضرات أو التأليف أوالبرامج الإسلامية الأخرى، وقد يدخل في ذلك المناهج الدراسية الدينية في المدارس والجامعات الشرعية بل يمكن أن يوسع مفهوم الخطاب ليشمل النشاط الإسلامي والدعوة وعمل الجماعات الإسلامية والمؤسسات العلمية والدعوية [5] .

المفهوم الحديث للخطاب :

الخطاب هو اصطلاح فلسفي يعني : المنهج أو ألطريقة التي يفكر بها فلان من الناس، وهو أيضا تصوره في التعبير عن آرائه وأفكاره ومعتقداته".

وقد دخل هذا المفهوم إلى الفكر الإنساني عامة، وتعددت أنواع الخطاب فهناك : الخطاب الديني، الخطاب السياسي، والخطاب الثقافي، والخطاب الإعلامي، والخطاب الفني، والخطاب الرسمي، والخطاب الشعبي ...

وبناء على ما سبق فإننا نقول أن الخطاب العربي الإسلامي معناه : الطريقة أو الوسيلة أو المنهاج الذي يستخدمه العرب والمسلمون لإيصال حقائق دينهم، وصدق أفكارهم، وصحيح تصوراتهم وآراءهم، ومواقفهم من الآخرين .

المطلب الثاني : أصول مرجعيات الخطاب العربي الإسلامي :

إن الأصول التي تعتمدها مرجعيات الخطاب العربي الإسلامي، هي المرجعية العلمية الثابتة، المعروفة لدى الأمة في تاريخها، والثابت أن لكل أمة خصوصية معينة تميزها عن غيرها، ولهذه المرجعيات ثوابت تنطلق منها في منهجها وتصوراتها وممارساتها، وأمتنا لها من كل ذلك الشيء العظيم والمراجع الأساسية الهامة، التي تشكل منبع لمفردات خطابها الحضاري والإنساني، وأن أصول الخطاب العربي الإسلامي المعرفية هي :

أولاً – أصول نصية :

أنزل الله سبحانه القرآن كتابا هداية للعالمين، وهو يعد الكلمة الأخيرة للبشرية من الله، حيث ختم الله الرسالة بنبيه مُحَمَّد وانقطع وحي السماء ووصفه

بأنه: رسول الله وخاتم النبيين، وهي المرجعيات التي تتمثل بالوحي بشقيه الممثل بالقرآن الكريم وبالسنة النبوية المطهرة .

1- القرآن الكريم :

كلام الله المنزل على نبينا محمد ﷺ المعجز الذي لا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد، واشتملت آياته على مسائل العقيدة من توحيد ونبوات وأخبار اليوم الآخر يوم الحساب، وعلى مسائل التشريع، وعلى مسائل القيم والأخلاق التي تمثل عمود الدين وذروة سنامه، كما صيغت هذه المحاور الثلاثة في صورة قصص الأنبياء وضرب الأمثال ووصف الإنسان والأكوان والأمر والنهى وغير ذلك .

إلا أن المتدبر في القرآن يجد طائفة غير قليلة من الآيات القرآنية أو بعض الآية يمكن أن تعد مبدأً عاماً يمثل مكوناً أساسياً من عقلية المسلم، وهذه المبادئ العامة إذا جمعت في نسق واحد ودرس ما بينها من علاقات بينية؛ لمثّل ذلك منهجاً واضحاً وأساساً متكاملاً لتفكير المسلم سواء في الجانب الفقهي والتشريع القانوني أو كان في مجال الفكر والنظرة الكلية للإنسان والكون والحياة، أو كان في مجال القيم والأخلاق على كافة المستويات، وتتبّع هذه المبادئ يساعد أيضا على بناء النموذج المعرفي الإسلامي بصورة لافتة للنظر .

فالقرآن الكريم ينبغي أن يكون الهادي والمرشد الذي ترتكز عليه مفردات الخطاب العربي الإسلامي، لأنه دستور لا يأتيه الباطل من بين يديه

ولا من خلفه، ففيه مفردات الخطاب الإسلامي بكل تنوعاته : العقدي، والسياسي، والإعلامي، والثقافي، والتوعوي ... للأمة، وبالتالي فإن الأمة عند تصديها لتوضيح صورتها أمام العالم وبيان حقيقتها، تستطيع أن تبين أن القرآن الكريم قد احتوى النصوص الكريمة الداعية لهداية البشرية وصلاحها، مستخدمة أسلوب الدعوة بالحوار الهادئ الهادف المتمدن، المتسم بالحكمة والموعظة الحسنة، واللين واللطف والأخلاق العالية .

الإسلام ما جاء إلا بكلّ هذه المثل والمبادئ وغيرها من مكارم الأخلاق الأخرى، لأنه في الأساس دعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي المنكر، وفي المبادئ الإسلامية من المرونة والسماحة ما يصلح المجتمع البشري كله، ويقدم له أصدق الحلول لمشاكله وقضاياه من خلال الإيمان بالله والأخلاق وقيام المسؤولية الفردية في ظل الإيمان بالبعث والجزاء .

2. السنة المطهرة والسيرة النبوية العطرة :

السنة النبوية هي المصدر المعرفي الثاني بعد القرآن الكريم، فهي وحي مروي، محفوظة بحفظ الله، فكان لها دور كبير في ترسيخ الخطاب الإسلامي، وغرس القيم الحضارية في المجتمع المسلم، ورعايتها وتنميتها في نفوس المسلمين؛ كي تثمر أخلاقاً حسنةً، ومناهجاً رائعةً يسلكها المسلمون في شتى مجالات الحياة . والذي يطلع على أحاديث المصطفى ﷺ، ويتمعن فيها يلحظ اعتناء السنة بهذه القيم، واهتمامها بترسيخها في النفوس؛ لما لهذا الأمر من أثر بارز في رقي الأمة المسلمة، وبناء حضارتها ونهضتها وعزها .

أسس رسول الله ﷺ المسجد فكان مؤسسةً اجتماعيةً، ومنبراً روحياً، وساحةً أخلاقيةً، كما يعد نموذجاً مصغراً للمجتمع المسلم عموماً؛ لذا فإن الاقتصار على الأحاديث الواردة بشأنه يحقق المطلوب في تتبع القيم الحضارية الاجتماعية والأخلاقية في السنة النبوية المطهرة .

السنة غرست القيم الحضارية للخطاب الإسلامي فالقيم الاجتماعية توجه السلوك، وتضبط التصرفات الإنسانية المختلفة، وتحث على وحدة المجتمع وتماسكه، والتزام أفراده بالنظام والانضباط، وتقوية روابط الإخاء والمساواة بين المسلمين، واتضحت أيضاً قيم الإتقان وإجادة الأعمال سواء أكانت دينية أم دنيوية، أبرزت السنَّة دور المرأة وفتح لها المجال في الدعوة والجهاد ورعاية المجتمع واحترامها والاهتمام بحقوقها، والتنويه بدورها الفاعل في المجتمع، والقيم التي تهتم بالفقراء والمساكين والمحتاجين وترعاهم، كما ظهرت القيم التي تراعي فطرة الإنسان وتلبي حاجته إلى الترفيه وترويح النفس بالمباح المشروع، ونشأت القيم التي تحرص على دماء المسلمين وأرواحهم .

إن تتبع الأمة لمسيرة نبيها والاهتداء بالطريق القويم الذي سار علية وتضمين ما جاء به في مفردات خطابها إلى الآخر، لهو ركيزة هامة ولبنة قوية في جدار بيتها، فقيم الأخلاق الفاضلة كالصدق والأمانة والوفاء بالعهد والوفاء بالالتزام والرحمة والإخاء والتسامح والحوار...الخ كلها قيم جسدها محمد ﷺ في حياته الكريمة .

ثانياً – أصول اجتهادية :

أسست للخطاب المعرفي الإسلامي، ويشكل نسقاً علمياً، لضبط هذا الخطاب، فالمصادر الاجتهادية أو الفقهية للتشريع كان للفقه دور هام في استنباط الأحكام الشرعية من الكتاب والسنة، المنضبطة بأصول الفقه .

وبعد الاجتهاد في استنباط الأحكام الشرعية من أهم الموضوعات وأبرزها في مجال العلوم والمؤلفات الإسلامية ذلك أنه يعد أساسا من أسس التشريع الإسلامي واصلا من أصوله الثانية سواء كان اجتهاد فرديا أو جماعيا يتكون به الإجماع الذي هو المصدر الثالث للتشريع الإسلامي .

وقد نتج عن اجتهاد الأئمة والفقهاء عامة وضع قواعد أصولية للاستنباط الأحكام القانونية من أصول الشريعة واعتبرت مصادر تبعية للتشريع منها ما اتفقوا عليه كالإجماع والقياس ومنها ما لم ينفقوا عليه كالاستحسان والمصالح المرسلة والعرف والاستصحاب .

والإجماع : دليل ملزم للمجمعين ولمن يأتي بعدهم ولا يصدر إلا عن علماء الشريعة الإسلامية والمجتهدين في كل عصر تحت ظل القواعد والنصوص الشرعية من الكتاب والسنة وتطبيقاتها التفصيلية وقد أجمع العلماء على اعتبار الإجماع حجة تأتي في المرتبة الثالثة بعد الكتاب والسنة .

والقياس: هو إلحاق حكم غير معلوم بآخر معلوم يتفقان في العلة المنصوص عليها أو المستنبطة .

والاستحسان : هو العدول في مسألة عن حكم بمثل ما حكم به نظائرها لوجه أقوى استلزم هذا العدول وقد اعتبر المالكية والحنابلة والأحناف **الاستحسان** مصدراً مستقلاً من مصادر الأحكام الشرعية معتمدين في ذلك على النصوص التشريعية : "فالله حرّم الميتة في قوله ((**حُرِّمت عليكم الميتة**)) ثم عدل عن تعميم هذا الحكم ليجيز للمضطر أكل الميتة حفاظا على حياته".

وقد أجمع الفقهاء رأيهم على اعتبار الاستحسان دليلا شرعيا حجيته في تقرير الأحكام ومصدرا للتشريع يلي في المرتبة الكتاب والسنة والإجماع .

والمصالح المرسلة يراد بها السبب الذي يوصل إلى المنفعة والخير والشرائع لا يراد بها إلا تحقيق مصالح العباد والمسلمون لم يختلفوا في كون الشريعة الإسلامية جاءت لرعاية مصالح الناس ودفع المشقة عنهم، كما لا يختلفون أيضا في أن استنباط الأحكام الشرعية يستند إلى البحث عن الحكمة أو المناسبة التي رعاها الشارع وهذه الحكمة هي التي يعبر عنها الفقهاء بالمصلحة أو يراد بها كل مصلحة غير مفيدة بنص من الشارع يدعو إلى اعتبارها أو عدم اعتبارها وفي اعتبارها مع هذا جلب نفع أو رفع ضرر فهي تشريع في واقعة لم يرد نص فيها ولا إجماع بناء على مراعاة مصلحة مرسلة أي مطلقة لم تقيد بقيد، لم يرد الشارع دليل باعتبارها أو إلغائها، ولقد قرر الفقهاء أن كل حكم شرعي وراء مصلحة سواء أدركها العقل، أو لم يدركها إلا أن المصلحة التي ورد حكم من الشارع بتحقيقها تسمى مصلحة معتبرة، والتي ورد النص بإلغائها تسمى مصلحة ملغاة، وإن هو لم يعتبرها ولم

يلغها سميت مصلحة مرسلة، وهي التي يقصدها الفقهاء عند الإطلاق وقد عدها بعض الفقهاء لون من ألوان القياس[6].

والعرف عرفه الإمام الغزالي بأنه ما استقر في النفوس من جهة العقول وتلقته الطباع السليمة بالقبول أو ما يعتاده الناس ذو الطباع السليمة من أهل قطر إسلامي بشرط ألا يخالف نصا شرعيا[7].

وقد أخذ به المالكية والحنفية في غير موضوع النص معتمدين في ذلك على قول الرسول ﷺ : (ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن)، وهذا ما جعل الفقه يضع مجموعة من القواعد الأصولية الكلية في شأنه منها قاعدة الثابت بالعرف كالثابت بالنص أو بدليل شرعي .

والاستصحاب هو الحكم على الشيء بما كان ثابتا له أو منفيا عنه لعدم قيام الدليل على خلافه فمبناه عدم قيام الدليل على تغيير حكم سابق ولهذا كان آخر ما يلجأ إليه المجتهد[8].

المطلب الثالث : مرجعيات الخطاب الإسلامي المعاصر:

تعدد مرجعية الخطاب الإسلامي :

الخطاب الإسلامي له عدة مصادر ومرجعيات منها المرجعيات الرسمية المتمثلة بمراكز الإفتاء، ومنها المرجعيات المتمثلة بالحركات الاسلامية وكذلك المرجعيات الثقافية للمفكرين والأساتذة .

خطاب الجهاد والحرب وخطاب السلام والتطبيع. ثم خطاب السلام الذي انقسم بدوره إلى السلام العادل والشامل مقابل خطاب سلام الأمر الواقع . ونتج عن ذلك اتجاهات واضحة التباين منها : الاتجاه الذي يرى ضرورة العودة إلى الإسلام بعد سقوط مختلف التجارب الأخرى (الخطاب السلفي- الحركي) والاتجاه الذي يدعو للانقطاع عن التراث والانطلاق نحو الغرب والاتجاه الذي يقع بين الاثنين وهو اتجاه توفيقي تلفيقي .

تعدد المرجعية في الخطاب الإسلامي داء عانت منه الأمة كثيراً، وقد كان هذا التعدد على مر العصور معول هدم في بناء الأمة الإسلامية الواحدة، فالدين الإسلامي دين التوحيد، وهو دين الكتاب الواحد الجامع، ودين أرسله الله تعالى عبر رسول واحد للبشرية جمعاء، ودين الله تعالى في الأرض يسوسه خليفة واحد ينصب على أمة واحدة، فكانت هذه الوحدة مؤشر على أن الإسلام ينبذ الفرقة ويهتم بجمع الكلمة، وكثير من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية تشير إلى ذلك .

ومما ساعد في زيادة الشرخ واتساعه في الأمة؛ أن كل طائفة حريصة كل الحرص على احتكار الخطاب الديني؛ لأنه يجلب الشرعية لصاحبه ويمنحه دفعة قوية للأمام أمام خصومه ومنافسيه، وأصبح الخطاب الديني سهماً من سهام الإعلام يُحارب به وتُروج الأفكار المختلفة من خلاله .

وتظهر خطورة تعدد المرجعية في الخطاب الإسلامي والفوضى التي يعاني منها على وحدة الصف فحسب بل على وحدة الأمة الإسلامية جمعاء

ولشدة خطورة هذا الأمر على وحدة الأمة نبه عليه الشرع الحنيف، سواء من خلال القرآن الكريم أو من خلال الأحاديث النبوية الشريفة، وكان واجب العلماء من بعد النبي ﷺ في معالجة هذا الخلل والمحافظة ما أمكن على أسس ومبادئ يتفق عليها جميع الأطياف لتكون منطلقاً لتوحيد المرجعية في الخطاب الإسلامي .

المبحث الثاني : قيم ومعالم الخطاب الإسلامي :

المطلب الأول: قيم الحضارة الإسلامية :

شكل التراث الإسلامي حلقة هامة في سلسلة المعرفة الإنسانية والتراث الإنساني إلى الأبد، فالعلوم والمعارف التي يتباهى بها العالم اليوم هي نتاج جهد عربي إسلامي، إضافة إلى أخلاقيات العرب والمسلمين التي كانت مثالا يحتذى على مر الأزمان حيث كانوا أهل وفاء وصدق وحمية ونخوة وتسامح وعطف وكرم وشهامة... الخ، إضافة إلى علاقاتهم السياسية مع غيرهم من دول الجوار، والتي تشكل أسس ومبادئ عالية الرقي تصلح لان تكون مبادئ في العلاقات الدولية المعاصرة المبنية على المصالح فحسب! دون تمييز بين لون أو جنس أو لغة، وشملت أيضًا محيطه الذي يتعامل معه، وتمثَّلتْ كذلك في صيانة الإسلام لهذه الحقوق بسلطان الشريعة، وكفالة تطبيقها، وفرض العقوبات على مَنْ يَعْتَدِي عليها .

أولا – الكرامة الإنسانية :

ينظر الإسلام إلى الإنسان نظرة تكريم وتعظيم، انطلاقًا من قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء – 70]. وهذه النظرة جعلت لحقوق الإنسان في الإسلام خصائص ومميزات خاصَّة؛ مِن أهمِّها شموليَّة هذه الحقوق؛ فهي سياسية واقتصادية واجتماعية وفكرية...كما أنها عامَّة لكل الأفراد؛ مسلمين كانوا أو غير مسلمين، دون تمييز بين لون أو جنس أو لغة، وهي كذلك غير قابلة للإلغاء أو التبديل؛ لأنها مرتبطة بتعاليم ربِّ العالمين .

وقد قَرَّرَ ذلك رسول الله ﷺ في خطبة الوداع، التي كانت بمنزلة تقرير شامل لحقوق الإنسان، حين قال ﷺ :"**فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ**"[9]. حيث أكَّدت هذه الخطبة النبويَّة جملة من الحقوق؛ أهمُّها: حرمة الدماء، والأموال، والأعراض.. وغيرها .

وقال ﷺ أيضًا يُعَظِّم من شأن النفس الإنسانيَّة عامَّة، فيحفظ لها أعظم حقوقها وهو حقُّ الحياة، فيقول ﷺ عندما سُئِل عن الكبائر: الإِشْرَاكُ بِاللهِ وَقَتْلُ النَّفْسِ[10] فجاءت كلمة النفس عامَّة لتشمل أيَّ نَفْسٍ تُقتل دون وجه حقٍّ . ثم ذهب الرسول ﷺ إلى أكثر من ذلك حين شرع حفظ حياة الإنسان من نفسه، وذلك بتحريم الانتحار، فقال ﷺ : "مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ[11] **فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهِ قَتَلَ**

نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ؛ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا" .

هذا، وقد حرَّم الإسلام كل عمل ينتقص من حقِّ الحياة؛ سواء أكان هذا العمل تخويفًا، أو إهانة، أو ضربًا، فعن هشام بن حكيم، قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول :" **إِنَّ اللهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا**"[12].

ثانياً– المساواة :

وبعد تكريم الإنسان بصفة عامَّة، وتقرير حرمة الدماء والأعراض والأموال، وحقِّ الحياة، أكَّد على حقِّ المساواة بين الناس جميعًا؛ بين الأفراد والجماعات، وبين الأجناس والشعوب، وبين الحُكَّام والمحكومين، وبين الولاة والرعيَّة، فلا قيود ولا استثناءات، ولا فَرْقَ في التشريع بين عربي وأعجمي، ولا بين أبيض وأسود، ولا بين حاكم ومحكوم، وإنما التفاضل بين الناس بالتقوى، فقال ﷺ : "**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، كُلُّكُمْ لآدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، أَكْرَمُكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ، وَلَيْسِ لِعَرَبِيٍّ فَضْلٌ عَلَى عَجَمِيٍّ إِلاَّ بِالتَّقْوَى**". ولننظر إلى تعامله ﷺ مع مبدأ المساواة؛ لندرك عظمته صلى الله عليه وسلم، فعن أبي أُمامة أنه قال : عَيَّرَ أبو ذرٍّ بلالاً بأُمِّه، فقال : يا ابن السوداء . وأنَّ بلالاً أتى رسول الله ﷺ، فأخبره فغضب، فجاء أبو ذرٍّ ولم يشعر، فأَعْرَضَ عنه النبي ﷺ، فقال : ما أعرضكَ عنِّي إلاَّ شيءٌ بلغكَ يا رسول الله . قال : أَنْتَ الَّذِي تُعَيِّرُ بِلالاً بِأُمِّهِ؟ وقال النبي ﷺ : (**وَالَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى مُحَمَّدٍ – أَوْ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَحْلِفَ– مَا لأَحَدٍ عَلَيَّ فَضْلٌ إِلاَّ** بِعَمَلٍ، إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ كَطَفِّ الصَّاعِ)[13]

ثالثاً – العدل :

ويرتبط بحقّ المساواة حقٌّ آخر وهو العدل، ومن روائع ما يُروى في هذا الصدد قول الرسول ﷺ لأسامة بن زيد عندما ذهب ليشفع في المرأة المخزوميَّة التي سرقت :

"وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا"

وكان ﷺ ينهى كذلك عن مصادرة حقّ الفرد في الدفاع عن نفسه تحرّيًا للعدالة، فيقول : **(فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالاً)**[14]

ويقول لمن يتولَّى الحُكْم والقضاء بين الناس :**"فَإِذَا جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْكَ الْخَصْمَانِ فَلاَ تَقْضِيَنَّ حَتَّى تَسْمَعَ مِنَ الآخَرِ كَمَا سَمِعْتَ مِنَ الأَوَّلِ"**؛ فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ يَتَبَيَّنَ لَكَ الْقَضَاءُ[15] .

رابعاً – الكفالة في الإسلام :

وفي حقّ فريد تختصُّ به شريعة الإسلام، لم يتطرَّق إليه نظام وضعي ولا ميثاق من مواثيق حقوق الإنسان، يأتي حقُّ الكفاية، ومعناه أن يحصل كل فرد يعيش في كنف الدولة الإسلامية على كفايته من مقوّمات الحياة؛ بحيث يحيا حياة كريمة، ويتحقَّق له المستوى اللائق للمعيشة، وهو يختلف عن حدِّ الكفاف الذي تحدَّثت عنه النُّظُم الوضعيَّة، والذي يعني الحدَّ الأدنى لمعيشة الإنسان[16] .

وحقُّ الكفاية هذا يتحقَّق بالعمل، فإذا عجز الفرد فالزكاة، فإذا عجزت الزكاة عن سدِّ كفاية المحتاجين تأتي ميزانية الدولة لسداد هذه

الكفاية، وقد عبَّر الرسول ﷺ عن ذلك بقوله : ((**من ترك ديناً أو ضياعاً فإلي وعلي**))

ثم قال ﷺ مؤكّدًا على هذا الحقّ : "**مَا آمَنَ بِي مَنْ بَاتَ شَبْعَانًا وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ بِهِ**"[17].

وقال مادحًا : (**إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ**)[18]

وإن حقوق الإنسان لتَصِلُ إلى أوج عظمتها حين تتعلَّق بحقوق المدنيين والأسرى أثناء الحروب، فالشأن في الحروب أنها يغلب عليها رُوح الانتقام والتنكيل، لا رُوح الإنسانيَّة والرحمة، ولكن الإسلام كان له منهجٌ إنسانيٌّ تحكمه الرحمة، وفي ذلك يقول الرسول ﷺ : ((**لا تَقْتُلُوا وَلِيدًا وَلا امْرَأَةً وَلا شَيْخًا**))

وهكذا، فهذا بعض ممَّا قَنَّنه الإسلام ووَضَعَهُ كحقوق للإنسان على ظهر البسيطة، وهي في مجملها تعكس النظرة الإنسانية التي هي رُوح حضارة المسلمين .

المطلب الثاني : معالم الخطاب الإسلامي :

لاشك أن خطاب أية امة هو المعبر الحقيقي عن هويتها وتراثها وأصالتها وتميزها عن الآخرين، والخطاب هو الناقل الرئيسي لهموم وقضايا

الأمم والمدافع عن مصالحها وقضاياها وثوابتها، والمبشر بأفكارها وتصوراتها والمعبر عن أمالها، لذا فان لكل خطاب مميزاته وخصائصه التي تنسجم مع ثوابت الأمة وخصوصياتها، لذلك فان الخطاب الإسلامي ينبغي أن يحمل المميزات والخصائص التالية :

أولاً – الاعتماد على الثوابت والمعاصرة المنسجمة معها :

أصول الدين وثوابته لا تقبل التبديل والتغيير بأي حال من الأحوال، وأي تجديد يتناول شيئًا منها لا اعتبار له لمخالفته للشريعة الإسلامية، كالتجديد الذي يبيح الربا، ويرفض الحجاب، وإقامة الحدود والشرائع . وإذا كان هناك تجديد في الأصول والثوابت الإسلامية من منظور الإسلام، فإنه التجديد الذي يحيي الأصول ويعيد الحيوية إلى الثوابت، بل هو السبيل لامتداد تأثيرات ثوابت الدين وأصوله إلى جوانب الحياة المختلفة .

الإسلام دين الفطرة؛ لأن الإنسان بما هو روح وجسد كائن مواطن في عالمين، ومشدود إليهما بعلاقتين : علاقة بالله تعالى وعلاقة بوسط مادي متغير غير مستقر، فما كان متعلقًا بالله من عقائد وعبادات ونظم ثبته الإسلام، وما تعلق بالجانب المتغير راعي فيه المرونة والحركة ولكن في إطار الأهداف العليا للإيمان بالله تعالى، من هذا جاءت نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المتعلقة بالمتغيرات مثل الأحكام المدنية والدستورية والجنائية والاقتصادية متضمنة للأهداف والمبادئ الأساسية في الدين". ومن ثوابت الدين التي لا تقبل التجديد ولا التغير هي العقيدة الإسلامية، وأركان الإسلام الخمسة، وكل ما ثبت بدليل قطعي من المحرمات كالزنى والربا وشرب الخمر،

وأصول الأخلاق بجانبيها وهذا يشمل ما يتعلق بعلاقة الإنسان بربه كالإخلاص، والخوف من عقابه، وما يتعلق بالإنسان وأخيه الإنسان من صدق ووفاء ورحمة وبر وإكرام، وكذا ما ثبت بنصوص قطعية في أمور الشريعة والحدود والقصاص والمعاملات، وأمور الأسرة من زواج وطلاق وإرث .

الارتكاز والانطلاق من ثوابت الأمة العربية والإسلامية التي لا تتغير ولا تتبدل، ولا يجوز التهاون والتفريط بها، على اعتبار أنها هوية الأمة وخصوصيتها .

العصرية المنسجمة مع الثوابت والقناعات، والمناهج والأساليب تتجدد بتطور المجتمع وبنشوء ظروف جديدة تتطلب المسايرة والمواكبة والتكيف، ولكن المضامين – في المنظور الإسلامي – لا تتجدد إلا بالقدر الذي يزيدها وضوحاً وإشعاعًا وتأثيرا، إن سرعة تغير الظروف الدولية سواء على الصعيد السياسي والاقتصادي والتقني تفرض على الخطاب العربي الإسلامي سرعة التحرك والتطور ليتلاءم مع هذه التغيرات وإلا وجد نفسه مغردا خارج السرب، إذ يجب أن يكون خطاباً ديناميكياً حركياً فاعلاً .

ثانيا – المرونة المنسجمة مع التوجه الإلهي :

ما قلناه سابقاً ينقلنا إلى نقطة أخرى وهي المرونة والتجدد ليتلاءم مع البيئات المتغيرة، والأحوال المتبدلة التي أصبحت لا تعرف الثبات والاستمرارية

يجب أن ينسجم أسلوب الخطاب مع التوجيه الإلهي لهذه الأمة ولنبيها الكريم بدعوة الناس بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي

أحسن، لكي تصل الرسالة المرجوة وتتحقق الغاية المطلوبة بكل يسر وسهولة، وكذلك لضمان قبولها من الأخر واقتناعه بها، وهذا ينقلنا إلى موضوع أخر وهو أدب الحوار الذي هو من أهم أخلاقيات الإسلام العظيم، بعيدا عن العنف والتطرف والتهور والاندفاع الارتقاء، مع الالتزام بالوسطية والاعتدال في كل شيء .

ثالثا – الإصلاح والارتقاء بالأمة :

أن يحمل قضايا الأمة وهمومها إلى الآخر ويجليها بكل شفافية ومصداقية، مستخدما الأسلوب العلمي المتميز الذي يرى أنه الأفضل والأوضح .

أن تكون غايته هي الإصلاح والتجديد والارتقاء بالأمة، ودفع الشبهات عنها لتأخذ دورها الحضاري والإنساني الذي أرادة الله لها .

التمييز بين الأصول والفروع : وموقف التجديد الإسلامي لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال التمييز بين الأصول والفروع، ذلك أن التجديد في الاصطلاح الشرعي فهو اجتهاد في فروع الدين المتغيرة، مقيد (محدود) بأصوله الثابتة، كما سبق الإشارة إليه عند الحديث عن المعنى الاصطلاحي للتجديد .

التمييز بين الثابت والمتغير: كما أن موقف التجديد الإسلامي لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال التمييز بين المجالات الثابتة والمجالات المتغيرة في

الإسلام، فالشريعة الإسلامية تشمل العبادات والمعاملات التي تنقسم إلى قسمين :

القسم الأول : المعاملات الفردية : وتضم الأحوال شخصية وقضايا الأسرة ومعاملات الفرد من بيع وأجاره ورهن وكفالة والمواريث ...

أما القسم الثاني : تنظيم العلاقة بين الأفراد في الجماعة : وهو ما يسمى النظم، مثل النظام الاقتصادي والنظام السياسي والنظام القانوني ... أما العبادات والمعاملات الفردية فقد فصلها القران والسنة، فهي ثابتة لا تخضع للتغير أو التطور، والأصل أنها لا تخضع للاجتهاد أو التجديد، أما القسم الثاني من المعاملات المتعلق بتنظيم العلاقة بين الأفراد في الجماعة، فقد أورد فيه الإسلام قواعد كلية، وترك أمر وضع قواعد الفرعية للاجتهاد، ولا يعنى هذا إلغاء اجتهادات السلف الصالح وعلماء أهل السنة، بل اتخاذها نقطه بداية وليس نقطه نهاية .

تحديد الموقف من المفاهيم والقضايا : ويتصل بضوابط التجديد تحديد الموقف من جمله من المفاهيم والقضايا ومنها :

مفهوم المساواة : فتجاوز الموقف التغريبي، والانتقال إلى موقف التجديد الإسلامي، في المجال الاجتماعي، لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال التمييز بين المفهومين الإسلامي والغربي للمساواة، ذلك أن المفهوم الإسلامي للمساواة يقوم على أن تحكم العلاقة بين المرأة والرجل في المجتمع قواعد عامة مجرده سابقه على نشأة تلك العلاقات، -دون إنكار التفاوت بينهما

في التكوين والمقدرات الذاتية– مع ملاحظه أن هذا التفاوت هو سنة إلهيه تشمل الناس كلهم لا المرأة فقط، وهو جزء من مفهوم التدرج القرآني– وهو المفهوم الذي يتحقق في الشريعة بما هي وضع الهي سابق لعلاقات البشر رجالاً ونساءً، ومن الأدلة على تقرير الإسلام للمساواة على الوجه السابق بيانه : قوله تعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾[البقرة-228]. وقول الرسول ﷺ **"إنّما النساء شقائق الرجال"**[19] وكذلك تقرير الإسلام أن المرأة مساوية للرجل في سائر التكاليف الشرعية . وكذلك تقريره أن المرأة مساوية للرجل في المسؤولية : **(كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة راعيه في بيت زوجها وهي مسئوله عن رعيتها)**[20] .

ويترتب على ما سبق أيضا رفض الإسلام للمفهوم الخاطئ للمساواة، أما مفهوم المساواة في الغرب فيقرنها بالمثلية، التي تعنى أن تكون المرأة مثل الرجل في التكوين والإمكانيات والمقدرات الذاتية وهو ما نفاه القرآن **(وليس الذكر كالأنثى)** .

مفهوم العقل : إن تجاوز موقف التغريب والانتقال إلى موقف التجديد الإسلامي في المجال المعرفي لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال التمييز بين المفهومين الإسلامي والغربي للعقل، فالمفهوم الإسلامي للعقل ينظر إلي العقل باعتباره نشاط أو فاعليه معرفيه لذا لم يرد في القران لفظ عقل بصيغه الاسم، بل ورد بصيغه الفعل (نعقل، تعقلون، يعقلون...)، ﴿ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ وهذه الفاعلية المعرفية محدودة :

أ- **تكليفياً** : بالعقل محدود بالوحي في إدراكه لعالم الغيب المطلق عن قيود الزمان والمكان، هذا أصل اقتضى للعاقل أن لا يجعل العقل حاكما بإطلاق، وقد ثبت عليه حاكم بإطلاق وهو الشرع وأن يجعل الأصول التي نزل بها القران واتت بها السنن من الرسول غايات للعقول ولا يجعلوا العقول غايات للأصول .

ب- **تكويناً** : كما أنه محدود بالحواس في إدراكه لعالم الشهادة المحدود زماناً ومكاناً ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨ ﴾[النحل-78].

أما المفهوم الغربي فينظر إلى العقل باعتباره ذو وجود مطلق، أي قائم بذاته ومستقل عن الحواس في إدراكه لعالم الشهادة، والوحي في إدراكه لعالم الغيب كما في التيار العقلاني (المثالي) في الفلسفة الغربية، وهو المفهوم الذي رفضه علماء الإسلام يقول علاء الدين الطوسي في كتابه الذخيرة أو تهافت الفلاسفة (... فقوته الإدراكية أيضا وإن كانت أتم قواه وأقواها ليس من شانها أن تدرك حقائق جميع الأشياء وأحوالها حتى الأمور الإلهية إدراكا قطعيا لا يبقى معه ارتياب أصلا، كيف والفلاسفة الذين يدعون أنهم علموا غوامض الإلهيات باستقلال العقل ويزعمون أن معتقداتهم تلك يقينية وان كانوا أذكياء أجلاء قد عجزوا عن تحقيق ما بمرأى أعينهم حتى اختلفوا في حقيقته .

المبحث الثالث : تحديات الخطاب الإسلامي وآماله :

لقد أفرزت التغيرات، والظروف العالمية، وتسارع وتيرة الأحداث الدولية، وتنوعها، وظهور مفاهيم ومصطلحات جديدة في فضاء العلاقات الدولية، انعكاسا سلبيا على واقع امتنا العربية الإسلامية، وشكل معضلة رئيسية تحول دون وصول خطاب الأمة إلى الآخر، فساد منطق الصراع الحضاري، بدلا من التحاور، والتلاقي على قواسم مشتركة كثيرة، تجمع بين بني الإنسان ، كل ذلك وغيره من الظروف والعوامل الداخلية الأخرى شكل عامل تحدي للخطاب العربي الإسلامي وجعله خطابا هزيلا لا يصل مداه خارج الأفواه ، لذا فإننا نستطيع أن نحدد تحديات الخطاب العربي الإسلامي بما يلي :

المطلب الأول : التحديات الداخلية :

صنعت هذه التحديات الظروف، التي مرت بها الأمة من استعمار، واحتلال، وقهر، وتشريد، واغتصاب أجزاء كبيرة من أراضيها، واختزال سيادتها على أراضيها، ساهم في ظهور حالة من الفقر والتخلف العلمي، والثقافي، والاجتماعي، والاقتصادي ...

يضاف إلى ذلك الخلافات الداخلية بين أبناء الأمة، وعدم تشكل المرجعيات، على مدار عقود من الزمن، كل ذلك وغيره، ساهم في إيجاد حالة من الإحباط، واليأس، والتقوقع، وغياب الحماس والاندفاع لدى الإنسان العربي والمسلم .

ليس هذا فحسب بل دخل على الساحة عوامل أثرت في الخطاب الإسلامي مثل: التخلف الاقتصادي، والاضطراب السياسي، والتراجع العلمي والثقافي والإعلامي، مما اثر تأثيراً عميقا على مفردات الخطاب العربي الإسلامي، وجعله ضعيفا هزيلا لا يقوى على إيصال صوته إلى الأخر .

لقد بينا سابقاً أن الخطاب الإسلامي له عدة مصادر، ومرجعيات منها المرجعيات الرسمية، المتمثلة بمراكز الإفتاء، ومنها المرجعيات المتمثلة بالحركات الاسلامية، وكذلك المرجعيات الثقافية للمفكرين والأساتذة، وكل منها له خطابه الخاص، ونادراً ما تلتقي تلك الخطابات على صعيد .

تعاقب الخطاب الإسلامي، حركة اهتزازية، ترددت صعوداً وهبوطاً، عبر محطات أساسية، وحاسمة أثرت بها قضية فلسطين تأثيراً مباشراً، وكذلك الحروب الإسرائيلية-العربية، فكان الخطاب القومي-العربي المعادي لإسرائيل، ثم أتت هزيمة حزيران 1967م فتغير معها الخطاب، إلى أن وقع الرئيس المصري السابق أنور السادات 1979م اتفاقية (كامب ديفيد) فانقسم الخطاب الديني والرسمي إلى عدة خطابات متنافرة ومتصارعة .

فتعددت صيغ الخطاب منها :

ا – خطاب الجهاد والحرب ذو الصيغة الحماسية التي تتخطى عبارات الحوار والنقاش، وتعتمد عبارات التحدي، وإظهار الارتجال الذي يصف ساحة المعركة وصهيل الخيل وحمحمته ورائحة البارود وأزيزه، وهو

خطاب في جزء منه ضيق الأفق، والذين يعدون ذلك مرحلة لا بد من عبورها من أجل البناء، لا يعتد بقولهم في هذه الساحة .

ب – خطاب السلام الذي يريد التسويق للتطبيع، ومن ثم انقسم هذا الخطاب إلى قسمين : خطاب السلام العادل والشامل، وخطاب سلام الأمر الواقع الذي لا يثق بالأمة ولا بمقدراتها .

ج – الخطاب الحركي، فشل خطاب السلام فشلاً ذريعاً وسقط على أقدام الشعوب العربية، وربيعها الذي هز العالم بأسره، ونتج عن ذلك اتجاهات واضحة التباين منها : الاتجاه الذي يرى ضرورة العودة إلى الإسلام بعد سقوط مختلف التجارب الأخرى، فتصدر الخطاب السلفي الحركي، الذي أفرز إفرازات بعضها شاذ يقترب من منهج الخوارج – والعياذ بالله – مما أربك الساحة الإسلامية، واعتلج الخطاب ضمن الأسرة المسلة بصفة الاتهام والتخاذل والمروق والتشدد ..

د – الخطاب التغريبي، ومن ثم ظهر قرن لاتجاه يدعو للانقطاع عن حضارة الإسلام وتراثها، وولى وجهه شطر الغرب، فنسي ما قدم الآباء والأجداد، وفي أحسن أحواله يرى، أن نأخذ وندع من قيمنا وحضارتنا، ليلفق و يوفق أحياناً .

المطلب الثاني : التحديات الخارجية :

إن أطماع الأمم المستعمرة في هذه الأمة وخيراتها، وما تحتويه أرضها من خيرات، بالنسبة لهذه الدول، جعلها دائما في موضع الفريسة المستهدفة، لذا فإن الطامعين بها سعوا، ومنذ البدء إلى جعلها ضعيفة هزيلة سياسياً، واقتصادياً، وثقافياً، وعلمياً .. وحجب كل ما من شانه أن يعمل على تغيير حالها، مما انعكس سلبا على واقع الخطاب فيها فاستمد ضعفه من ضعفها،

وافتقر إلى مقومات القوة والمهنية والعلمية، وطغت عليه السلبية أكثر من الايجابية، و يتجلى ذلك فيما يلي :

أ- **غياب الإعلام الهادف القوي** : إن غياب الإعلام القوي الهادف الذي يحمل الرسالة ويوصل الخطاب إلى الآخر أيضاً كان له الدور الأكبر في ضعف مفردات هذا الخطاب وغيابه عن الساحة الدولية .

ب- **العولمة والحداثة** : إن من أكبر التحديات التي يواجهها الخطاب العربي الإسلامي هي العولمة بكل ما تحتويه من تجليات وتحديات وتغيرات سواء على الصعيد السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي أو الثقافي أو الأمني والعسكري، وهذا الذي غيّب الخطاب العصري الحركي المرن سريع التغير مستخدما أساليب حديثة متطورة متناغمة مع مجريات الأحداث الدولية، ومواكباً لمتطلبات الأمة المعاصرة، بما يتناسب مع قيم الأمة وتاريخها وتراثها .

لقد وضعت الحداثة وتسارع العولمة ومستجداتهما الخطاب الإسلامي الجديد في مأزق، وأضعفت دوره أمام الاستفزاز الغربي .

ويمكن القول أن دور الخطاب الإسلامي الجديد في حل إشكاليات الخطاب الديني دور صعب ومتشابك، وأن السيطرة على الخطاب الديني وحسن توجيهه في الإطار والهدف الديني الصحيح أمر في غاية الصعوبة حيث أن الواقع ممتلئ بالحساسيات التي تستفز هذا الخطاب -بعلم ممن يتبناه أو بدون علم – **ومن القضايا المؤثرة بالخطاب الإسلامي** :

1-القضية الفلسطينية والدعم الأمريكي للكيان الصهيوني المتواصل لها، سوف يساعد على خلق خطاب ديني متطرف إلى أقصى الحدود، وهذا الخطاب بالرغم من انه مستمد من الواقع إلا أن التأثيرات الخارجية هي التي استفزته وحرضته . فالعلاقة الأمريكية الصهيونية المتميزة هي المسؤولة عن هكذا خطاب وعن تداعياته، فالتمييز الأمريكي أمر واضح وقد سبق وعبر عنه نائب الرئيس نيكسون للأمن القومي روبرت كرين عندما قال: "الواقع أن أمريكا تقاد من قبل الصهيونية"، ولذلك فهم يعتقدون بأن استعمال أية قوة ضد اليهود أو ضد المصالح الأمريكية هو إرهاب، كما يعتبرون أن كل إنسان يجابه إسرائيل (إرهابيا). وليس بعيداً عن ذلك ما قاله الجنرال الأمريكي وليام بويكن نائب وكيل وزير الدفاع الأمريكي لشؤون الاستخبارات في حشد في كنيسة (الراعي الصالح) في ساندي/اوريغون في 21 كانون الأول 2003م : "فيما نسأل أنفسنا لماذا يكرهوننا كثيراً ؟ (أي المسلمون والعرب)، الجواب أننا امة مسيحية، لأن أساسنا وجذورها هي المسيحية اليهودية ... هذا يعني أن لدينا التزاماً أمام إسرائيل... هذا يعني أن التزامنا لها غير قابل للانتهاك". وليس أخيراً ما قاله رئيس الوزراء البريطاني طوني بلير في خطاب ألقاه أمام قواته في العراق تناولته كافة وسائل الإعلام حيث اتهم ما سماه فيروس التطرف الإسلامي بتهديد الأمن الدولي، إن هذا الخطاب الغربي الأحادي الجانب والنظر، يؤثر في خلق الخطاب الديني المضاد خطاب ردة الفعل الناتج عن الفعل الغربي المتمسح بالدين المسيحي من حين إلى آخر رغم مناداته ورفعه لشعار العلمنة .

2-التمدد الإمبراطوري الفارسي في البلاد الإسلامية، إن هذا التمدد أصبح يذكر على ألسنة الساسة الإيرانيين جميعاً، وضرب بعمق في العالم الإسلامي شرقاً وغرباً تحت غطاء شيعي، والواقع يشهد في سورية والعراق واليمن، ونحن نرى عاصفة الحزم بدأت، ولا ندري لها نهاية ونضع بين أيدكم نموذجا للخطاب المضاد لهذا التمدد :

يدين **الملتقى العالمي للعلماء والمفكرين المسلمين في رابطة العالم الإسلامي** : إثارة الفتن في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربي ويطالب إيران باحترام العهد الإسلامي ووحدة المسلمين .

دعا الملتقى العالمي للعلماء والمفكرين المسلمين في رابطة العالم الإسلامي علماء المسلمين ودعاتهم ومفكريهم في العالم للإسهام في تمتين أواصر وحدة الأمة الإسلامية ورص صفوفها، وتحذير شعوبها من خطر الفتن بين الفئات المتعددة وأتباع المذاهب والطوائف المختلفة، ودعا شعوب الأمة إلى استشعار معاني الأخوة التي وصف الله سبحانه وتعالى بها المسلمين في قوله : (إنما المؤمنون إخوة) .

وحذر الملتقى في بيان أصدره من التدخلات في شؤون الشعوب الإسلامية ومنها شعوب مجلس التعاون لدول الخليج العربي المسلم، معرباً عن استنكار العلماء والمفكرين من أعضاء الملتقى لتدخل إيران وشؤون دول مجلس التعاون، مبيناً أن تدخلها في الشؤون الداخلية للمملكة العربية السعودية والبحرين والكويت وإثارتها الفتنة بين فئات شعوب هذه البلدان

أمر يخالف الدين، ويؤدي إلى الخلاف والنزاع وضعف الأمة : (**ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم**).

وأكد الملتقى أن تدخل إيران في شؤون بلدان مجلس التعاون لدول الخليج العربي ومواطنيها ومحاولاتها إثارة الشغب كما حصل في دولة البحرين الآمنة يؤدي إلى النزاع وسفك دماء المسلمين، وهو ما حرمه الله على من آمن بالله وبرسوله محمد ﷺ.

وحذر الملتقى من خطورة تدخل إيران وتصريحات بعض القيادات السياسية فيها، والتي تمس بأمن شعوب دول مجلس التعاون لدول الخليج العربي، مبيناً أن شعوب هذه الدول مستقرة وآمنة ومتلاحمة مع قياداتها التي تسهر على مصالحها، وتحرص على أمنها وسلامتها.

وأوضح الملتقى أن أمة الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها ترفض أي تدخل بشؤون شعوبها، فهي أمة واحدة على الرغم من تعدد مذاهبها، فهي تعبد رباً واحداً، وتدين بدين واحد: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾

وطالب الملتقى علماء المسلمين في كل مكان بتوعية المسلمين من خطر الفتن ما ظهر منها وما بطن، ودعا المراجع العلمية الشيعية للإسهام في وأد الفتنة وتبصير الساسة في إيران بخطر التدخل في شؤون الشعوب المسلمة، وبخاصة شعوب دول مجلس التعاون لدول الخليج العربي، ومراعاة حسن الجوار معها. وبين أن إيقاف التدخل ومنع الفتنة واجب شرعي لابد من الأخذ به حفاظاً على الأمة، وتحقيقاً لما دعا إليه الله سبحانه وتعالى ورسوله صلوات الله وسلامه عليه القائل : (**مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم**

وتراحمهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر)[21]

وذكّر الملتقى المراجع الشيعية بضرورة حث المسؤولين في إيران ونصحهم بعدم إثارة الفتن التي تشحن الصدور وتزرع الحقد وتحصد الأرواح، وقد أوجب رسول الله ﷺ النصح للحكام وأهل الرأي فقال : (**الدين النصيحة قلنا لمن يا رسول الله، قال : لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**) وأن في هذا أمر لعلماء الأمة لوأد الفتنة والأخذ على يد أهلها والتوجه إليهم بالنصح والتحذير من خطرها على المسلمين .

المطلب الثالث : أزمة الخطاب الإسلامي بين التحدي الداخلي و الخارجي :

لا شك أن الخطاب الإسلامي في محنة، فهو مستغل إلى ابعد حدود حتى بات في بعض الأحيان مصطنع من قبل بعض الجهات الداخلية أو الخارجية لتحقيق مآرب خاصة .

من هنا تأتي صعوبة وضرورة حل إشكاليات هذا الخطاب الديني، وهنا نتساءل عن دور الخطاب الإسلامي الجديد في القدرة على حل تلك الإشكالية؟

في الحقيقة أن الخطاب الإسلامي الجديد لا يزال يتكون ويقوى وهو آخذ في التشكل، ولكننا من الصعب أن نحكم بوجود خطاب إسلامي جديد واحد . قد يوجد أكثر من خطاب، ولكن المرجو أن يتحلى بخصائص ثابتة لكي يكتب له النجاح والاستمرار، في هذا المضمار يمكن الاستفادة من تجارب الآخرين وما يزونه في الخطاب الإسلامي الجديد المرجو.

المطلب الرابع : آمال الخطاب الإسلامي :

1- مجهوداته من أجل أن يعيد مرة أخرى نشر جميع الأبعاد التي صنعت في الأزمان الغابرة، عظمته وانتشاره، وبعده العالمي، كونه لم يقتصر على هذا التقليد والعرف أو ذلك السائد في الشرق الأدنى أو على ماضيه، بل انه انفتح على جميع الثقافات وأقر التكافل العظيم بين الشرق والغرب للديانات المنزلة .

2- بعده الداخلي وحب الآخرين .

3- بعده الاجتماعي، مستثنياً غابة المصالح المتناحرة وتراكم النزوات في بؤرة المجتمع وعدم ترك البؤس للآخرين".

هذا الرأي استقيته من مفكر عالمي فرنسي الجنسية (اختار الإسلام) وهو منظر سابق للحزب الشيوعي الفرنسي وذلك لإمكانية رؤيته للخطاب الإسلامي ومستقبله من منظور غربي-اشتراكي . وفي ذات التوجه يحدثنا روبرت كرين وهو مفكر وسياسي أمريكي سابق اختار الإسلام وله خطابه الإسلامي ونظرته للمستقبل يقول : "في اعتقادي انه يجب التركيز على بناء فكر عال للمفهوم الإسلامي بين الشباب بشكل خاص، يجب أن يفهموا العالم الحديث، ويجدوا ردوداً إسلامية لكل المشاكل المطروحة في المجتمع . ومن جانب آخر يجب أن ننمي ونطور قيادة فكرية بين المسلمين، وفي كل حقوق المعرفة، ويكون الهدف من كلا الأمرين هو تدعيم العدل والعدالة في

العالم. وهذا يجعل الإسلام قوة ايجابية تنطبق على الغرب كما تنطبق على العالم الإسلامي".

المطلب الخامس : المستقبل والحلول :

أسلفنا بان الظروف الدولية والواقع المعاش هي مؤثرات هامة على مجرى الخطاب العربي الإسلامي ولا يمكن تجاهلها أو التغاضي عنها، لذا فان حالة الضعف العام والعفوية والتشدد وضيق الأفق، وقصور النظر عن المستقبل، والركون إلى الخلافات والاختلافات، بالإضافة إلى حالة الفقر والأمية والجهل، والتخلف عن مواكبة الثورة العلمية والتقنية، ...الخ، وكل المظاهر السلبية التي يحيا في ظلها هذا الخطاب، هي سلبيات يجب آن تسعى الأمة للتخلص منها ونبذها لأنها معوقات ستبقي الخطاب يعيش في حالة من عدم المصداقية والثقة وقلة التأثير في الأخر الذي نريده أن يعرف حقيقة عروبتنا وإسلامنا، وخاصة في ظل الصورة القاتمة التي ينقلها الإعلام الغربي عن العرب والمسلمين .

مواصفات الخطاب الجديد والمعوقات أمامه :

إن الخطاب الإسلامي الجديد والمقصود، هو الخطاب الجوهري للدين البعيد عن الفعل وردة الفعل، الخطاب الموضوعي الوسطي البعيد عن الغلو والتطرف، انه الخطاب الذي يجسد حقيقة الإسلام وربما هنالك سعي واتجاه نحو هذا الخطاب، إلا انه لا يقدر أن يمنع الخطابات الأخرى أو إن يحد

منها، لذلك لا بد من احتضانه وتبنيه لأنه يشكل نقطة التوازن ويجب حمايته وإيجاد الظروف المساعدة والملائمة له، واحترام من يحمله وعدم التعرض لهم .

فكلما اقترب الخطاب الإسلامي وقضاياه الكبرى كلما زادت قدرته على حل إشكاليات الخطاب الديني . انه فعل إيمان بدور الرسالة الاسلامية من جديد، وإظهار على مستوى العالم أي إبراز الخطاب الإسلامي العالمي، فعندما انتشر الإسلام في العالم :

كان إسلاما عالمياً موجهاً لكل الناس ويجب أن يعود خطابه اليوم كذلك، لا أن يتقوقع على نفسه بل ينفتح على كل العالم بما فيه الغرب الذي بدأ يشهد تحولات ملحوظة نحو الإسلام بالرغم من مختلف الحروب الإعلامية وسواها عليه. وطبيعة الخطاب الإسلامي العالمية تعتبر ضمانة لانتشاره واستمراره، وهذه حقيقة جوهرية في الإسلام يجب التنبه لها وخاصة في عصر الانفتاح العالمي الذي تشهده الكرة الأرضية. قال تعالى :﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾

– **الوحدة في الإنسانية**، فيجب إظهار هذا التوجه في الخطاب الإسلامي، انه التوجه الذي انطلق منه الإسلام حيث وحد بين الأجناس والألوان وحفظ للجنس البشري مكانته بعيداً عن التمييز والاستعباد، وأن الحركات النضالية اليوم والعاملين في مجال حقوق الإنسان يبحثون عن ذلك من جديد، وهنا تكمن أهمية إبراز هذا التوجه وخطاب الناس من خلاله وهو خطاب جوهري في الإسلام قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ

شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات - 13]

- **الحوار وتقبل الآخر**: وهذه سمة من سمات الحضارة الاسلامية، وعلى الخطاب الإسلامي الجديد إعادة إحيائها، وتلك السمة ساعدت على دخول الأمم والشعوب في الإسلام التي بقيت على عهدها رغم ما تعرضت له لاحقاً من قهر وجور. وبالمقابل حافظ الإسلام على سائر الأقليات الدينية والعرقية في الدول العربية-الاسلامية، وهذا دليل عملي على تقبل الآخر كما هو والحفاظ على خصوصياته ضمن احترام متبادل، هذا الخطاب ساد مع الراغبين في الحياة الإنسانية، أما الذين ظلموا منهم وعادوا فكان لهم شأن آخر. قال تعالى : ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [العنكبوت : 46]

- **الحريات** : وهو خطاب قديم جديد يجب إحياؤه في ظل خطاب إسلامي متقدم، رفع لواءه الإسلام منذ القدم حيث أعلن انه "لا إكراه في الدين" وأن الناس يولدون أحرارا . وقد سادت هذه الروح من الحرية لفترات طويلة من زمن الدولة العربية-الإسلامية وأدى ذلك إلى إبداع أبناء جميع الأديان والأثينيات والقوميات .

- **مواكبة التطور العلمي**، وما يحققه من خير للأمم من أي جهة أتى، وقد شهدت الدولة العربية-الاسلامية مظاهر عديدة للتطور العلمي الذي أفاد العالم. وحتى الآن يشارك المسلمون في العديد من مراكز البحث العلمي في

العالم الغربي، والخطاب الإسلامي ينحو هذا الاتجاه من خلال الدعوة إلى العلم والتعلم والأخذ بالحكمة، قال رسول الله ﷺ: "**العلم فريضة على كل مسلم**" "**والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها**"

هذه العناوين للخطاب الإسلامي تنقله إلى الواجهة وتجعل منه خطاباً حياً فعالاً عاماً وشاملاً وان يصبح جزءاً من الظاهرة والطرح الحضاري الراهن ."انه الاختيار الصحيح والصعب وهو أن نكون جزءاً من الظاهرة الحضارية الراهنة دون أن نفقد هويتنا الثقافية وخصوصيتنا التنموية، أي تنمية الخاص دون القطيعة أو الانقطاع عن العام . نعيش العصر، نمتلكه معرفياً، نمتلكه عقلياً".

هذا الخطاب الإسلامي المتطابق مع الأصل أصبح ضرورة حيوية لأن المقابل والبديل المطروح هو التقزيم والمسح أمام الغزو الفكري الثقافي الآتي من كل حدب وصوب والذي يحمل معه طلائع استعمار جديد يصعب الفكاك منه .

وإذا كانت تلك هي معالم الخطاب الإسلامي الجديد المأمول، فالمطلوب هو أن نعيش اللحظة المستقبلية، نخطط لها ونحدد الأهداف ونعمل بجد وصمت . فالأمر ليس بالسهل، فالضغوطات الخارجية تضغط باتجاه الخطاب المتطرف . فالحصار الذي يفرضه الغرب على الأمة الاسلامية تمادى وتعاظم بعد سقوط الاتحاد السوفياتي وتحولت المعركة ضد الإسلام . وقد تجرأت إلى حد الوقاحة تلك الضغوطات ومن ورائها لتتدخل مباشرة بالقضايا الخاصة فضلاً عن القضايا العامة : من مناهج التعليم إلى الأحوال الشخصية

والأسرة، إلى قضايا المرأة، إلى الاتهامات بحيازة أسلحة الدمار الشامل وممارسة الضغوطات على الدول والتعدي على سيادتها واستقلالها .

مفارقة صعبة أن يتهمك الآخرون بالإرهاب في خطابهم السياسي- الديني وأنت تفتح لهم سبل الحوار والتعارف. صورة الإسلام (في الغرب ووسائله) صورة مزيفة تستفز الخطاب الديني المتطرف وقدر الخطاب الإسلامي الجديد أن يبقى محافظاً على مواصفاته الأصلية ومطابقته للأصل، ولا بد للعقل المنفتح في هذا العالم أن يستجيب لصوت العقل والمعرفة . انه قضية خيار ومنهج وليست قضية حماسة وردة فعل، أنها صفات المؤمنين التي سطرت في القرآن الكريم : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣ ﴾[العصر-3]

الخاتمة :

الخطاب مهمة أمة وتجديده مسؤولية حضارية و **التجديد في الاصطلاح الشرعي اجتهاد في فروع الدين**، قال ﷺ (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)[22] فمسألة التجديد التي يطرحها واقع معين زمانا ومكانا، مقيدا بالقواعد المطلقة، التي مصدرها الوحي، والتي تحدد نمط الفكر اللازم لوضع هذه الحلول . وقد ميز العلماء بين المجتهد المقيد والمجتهد المطلق، والفارق بينهما هو فارق في الشمول بين التجديد في فرع واحد من فروع الدين، أو أكثر من فرع، والمجتهد المطلق هو المجدد .

لذا فان المستقبل يجب أن يشهد تطورات وتجليات تنقل الأمة وخطابها إلى مصاف الأمم لتأخذ دورها الإنساني وتساهم في صياغة التاريخ البشري بكل فعالية وحيوية، ومن الخطوات التي يمكن للأمة إتباعها ما يلي :

1- التخلص من الأمية والجهل باعتلاء ناصية العلم والمعرفة ومسايرة التطورات العلمية والتكنولوجية، واستخدامها في توجيه توعوي موحد تنظر فيه المرجعيات الإسلامية غلى اختلاف مشاربها بجدية .

2- التوحد والعمل في صف وعلى صعيد يخدم الأمة ويعلي من شأنها و نبذ الخلافات السياسية، التي تشرذم الأمة ولا تحقق غاية أو نتيجة

3- صناعة إعلام قوي هادف مدعوم بالطاقات المتعلمة المتدربة التي تحمل مشروع الأمة بكل حماس وصدق وفاعلية إلى الأخر بأسلوب حضاري، وحكمة وموعظة حسنة، بعيدا عن التشدد والتشدق.

4- تحرير العقل الذي يخرج الخطاب الإسلامي عقدته التي وصمته بالتقليد والجمود، وفتح أفاق التطور والتقدم أمامه وذلك من خلال الاستفادة والتعلم من تجارب الآخرين، واخذ الايجابيات النافعة والابتعاد عن السلبيات.

5- العمل الجاد على تقديم البدائل والحلول لمشكلات العالم، لا أن نكتفي بالانتقاد وتوجيه التهم للآخرين.

6- أن يسعى كل واحد في الأمة أن يكون قدوة يحتذى لغيره من بني البشر ويضرب الأمثلة الحسنة النابعة من أخلاقيات العروبة والإسلام .

وأخيرا نقول إن الخطاب العربي الإسلامي المعبر عن هموم الأمة وقضاياها وآمالها وآلامها، هو الخطاب المبني على العلم والمعرفة الذي يستجيب لمتطلبات المستقبل المواكب لركب الحضارة الإنسانية، المحافظ على

الثوابت، وبمعنى أخر هو الخطاب الذي يجمع ما بين الأصالة والمعاصرة ويوائم بينهما، وإلا فان سيل العولمة الجارف لن يرحم .

الحواشي والهوامش

(1) ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، دار جيل، دبي – انظر لسان العرب: لابن منظور، دار صادر، لبنان، 360/1 والمعجم الوسيط: طبع مكتبة الشروق الوطنية، ص 243.

(2) فقه الدعوة إلى الله: علي عبد الحليم محمود، دار الوفاء، ص52

(3) انظر : أ.د. عصام أحمد البشير، نحو خطاب إسلامي مرتبط بالأصل ومتصل بالعصر 2011م ص.60 وبعدها؛ عبد السلام حمود غالب، الوسطية في الخطاب الديني وأثره على المجتمع: ص2، 10/1

(4) أنظر، تأويل الخطاب الديني في الفكر الحداثي الجديد، بحث محكم، د.أحمد عبدالله الطيار، مجلة كلية أصول الدين، القاهرة ع. 22، نحو خطاب إسلامي مرتبط بالأصل ومتصل بالعصر د. عصام البشير، الخرطوم السودان، ط1، 2011 .

(5) محمد أبو زهرة، أصول الفقه، ص 208

(6) الإمام الغزالي المستصفى، 1 / 17

(7) كتاب إرشاد الفحول، ص 211

(8) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 1631، وأخرجه ابن حزم الظاهري في حجة الوداع لابن حزم، حديث رقم 145.

(9) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 6391، وأخرجه النسائي في سننه حديث رقم 3969، وأخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم 22883، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم 6701، وأخرجه الحاكم في المستدرك، حديث رقم 1379، وأخرجه الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة، حديث رقم 2906، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى

حديث رقم 10586،8334،3367، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى حديث رقم 19182،14571، وأورده ابن حجر في المطالب العالية، حديث رقم 3685، وأورده البوصيري في إتحاف الخيرة، حديث رقم 221، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين، حديث رقم 1112، 1139، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في مسانيد فراس المكتب، رواية أبي نعيم، حديث رقم 8، وأخرجه نور الدين الهيثمي في كشف الأستار، حديث رقم 104، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، حديث رقم 5858، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، حديث رقم 13588،3789،3788، وأخرجه أبو طاهر السلفي في مشيخة ابن الخطاب، حديث رقم 32، وأخرجه الذهبي في معجم الشيوخ الكبير حديث رقم 606، وأخرجه ابن الشجري في أماليه حديث رقم 51، وأخرجه الخطيب في الكفاية في علم الرواية، حديث رقم 106، وأخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة حديث رقم 1631، وأخرجه ابن أبي عاصم في الجهاد لابن أبي عاصم، حديث رقم 228,229، وأخرجه مُحَمَّد بن إبراهيم بن المنذر في الإقناع لابن المنذر، حديث رقم 153، وأخرجه عبد الغني المقدسي في تحريم القتل وتعظيمه حديث رقم6، وأخرجه الطبري في تفسيره، حديث رقم 8444، وأخرجه ابن أبي زمنين الأندلسي في تفسير القرآن العزيز، حديث رقم 72، وأخرجه مُحَمَّد بن إبراهيم بن المنذر في تفسير القرآن لابن المنذر، حديث رقم 510،507،505، وأخرجه أبو نعيم في الحلية، حديث رقم 10459، وأخرجه ابن أبي خيثمة في السفر الثاني من تاريخ ابن أبي خيثمة، حديث رقم2451 ، وأخرجه أبو بكر البرديجي في الكبائر للبرديجي، حديث رقم 11،10.

(10) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 5360، وأخرجه النسائي في سننه حديث رقم 1949، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم 2078.

(11) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 4741،4740، وأخرجه أبو داود في سننه، حديث رقم 2651، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، حديث رقم 5729،5728، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى، حديث رقم 8450، وأخرجه البيهقي في السنن الكبر، حديث رقم 17231، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين، حديث رقم 3046، وأخرجه ابن حجر العسقلاني في إتحاف المهرة، حديث رقم 4191، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، حديث رقم 17923، 17924، وأخرجه أحمد بن عمير بن يوسف بن جوصاء في جزء من حديث ابن

جوصاء، حديث رقم 21، وأخرجه ابن زنجويه في الأموال لابن زنجويه، حديث رقم 414، وأخرجه ابن المنذر في الأوسط في السنن، حديث رقم 2، وأخرجه أبو الخير بدل بن أبي المعمر التبريزي في النصيحة للراعي والرعية للتبريزي، حديث رقم 17، وأخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة، حديث رقم 6039، وأخرجه المزي في تهذيب الكمال، حديث رقم 3462، وأخرجه ابن أبي خيثمة في السفر الثاني من تاريخ ابن أبي خيثمة، حديث رقم 842، 1454.

(12) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، حديث رقم 4758.

(13) أخرجه البخاري في صحيح، حديث رقم 2151،2226،2237،2428، وأخرجه الترمذي في جامع، حديث رقم 1234،وأخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم 9184،9664،25718، وأخرجه أبو عوانة في مسنده، حديث رقم 4390، وأخرجه البيهقي في السنن الكبر، حديث رقم 10112،10260،10434، وأخرجه الطياليسي في مسنده، حديث رقم 2466، وأورده ابن حجر في المطالب العالية، حديث رقم 1505، وأورده البوصيري في إتحاف الخيرة، حديث رقم 1974، وأخرجه عبد بن حميد في مسنده، حديث رقم 1508، وأخرجه نور الدين الهيثمي في كشف الأستار، حديث رقم 1232، وأخرجه عبد الرزاق في المصنف، حديث رقم 14912، وأخرجه الطبراني في المعجم الصغير، حديث رقم 1043، وأخرجه ابن الأعرابي في معجمه، حديث رقم 2320، وأخرجه أبو طاهر السلفي في السابع عشر من المشيخة البغدادية لأبي طاهر السلفي، حديث رقم 6، وأخرجه بكر بن بكار في جزء بكر بن بكار، حديث رقم 19، وأخرجه مُحَمَّد بن يعقوب الأصم في حديث أبي العباس الأصم حديث رقم 50، وأخرجه مُحَمَّد بن يعقوب الأصم في فوائد أبي العباس الأصم، حديث رقم 50، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان حديث رقم 10466، وأخرجه البغوي في شرح السنة، حديث رقم 2139، وأخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار، حديث رقم 3747، وأخرجه ابن عبد البر في التمهيد، حديث رقم 3167، وأخرجه البغوي في معالم التنزيل، حديث رقم 205، وأخرجه أبو نعيم في الحلية، حديث رقم 15663.

(14) أخرجه أبو داود في سننه حديث رقم 3113، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى حديث رقم 18863، وأخرجه البيهقي في معرفة السنن والآثار،حديث رقم 5066، وأخرجه الإسماعيلي

في معجم أسامي شيوخه، حديث رقم 290، وأخرجه الآجري في الشريعة للآجري، حديث رقم 1544، وأخرجه البغوي في شرح السنة، حديث رقم 2503، وأخرجه ابن سعد في الطبقات حديث رقم 2401.

(15) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، حديث رقم 750.

(16) أخرجه البخاري في صحيحه، حديث رقم 2318، وأخرجه مسلم في صحيحه، حديث رقم 4562، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى، حديث رقم 8477، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى حديث رقم 18812، وأخرجه أبو يعلى في مسنده، حديث رقم 7256، وأخرجه الدارقطني في أربعون حديثًا من مسند بريد عن أبي بردة، حديث رقم 58، وأخرجه ابن عساكر الدمشقي في تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الأشعري، حديث رقم40،41، وأخرجه الطبري في تهذيب الآثار، حديث رقم151، وأخرجه البغوي في شرح السنة، حديث رقم 2158، وأخرجه أبو زرعة طاهر بن محمد المقدسي في صفوة التصوف، حديث رقم 839.

(17) أخرجه أبو داود في سننه حديث رقم 204، وأخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم 25609، وأخرجه الطوسي في مختصر الأحكام، حديث رقم 89، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى حديث رقم 735، وأخرجه ابن حجر العسقلاني في إتحاف المهرة، حديث رقم 288.

(18) أخرجه البخاري في صحيح، حديث رقم 849،4826،6632، وأخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 3414، وأخرجه الترمذي في جامعه حديث رقم 1625، وأخرجه أبو داود في سننه حديث رقم 2542، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 5021,5741، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، حديث رقم 4582,4583، وأخرجه أبو عوانة في مسنده حديث رقم 5546،5547،5548،5552،5553،5554،5555،5557، وأخرجه ابن الجارود النيسابوري في المنتقى من السنن المسندة، حديث رقم 1080، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى حديث رقم 15291، وأخرجه البيهقي في معرفة السنن والآثار، حديث رقم 4693، وأخرجه مالك في الموطأ برواية الشيباني، حديث رقم 872، وأخرجه مالك في الموطأ برواية الزهري 'حديث رقم 1192، وأخرجه أبو بكر البزار في البحر الزخار بمسند البزار 10-13، حديث رقم 1135،1342،1343، وأخرجه أبو يعلى في مسنده، حديث رقم 5783، وأخرجه الطبراني

في مسند الشاميين، حديث رقم 2883، وأخرجه الجوهري في مسند الموطأ، حديث رقم 353، وأخرجه الشهاب في مسنده، حديث رقم 197، وأخرجه عبد بن حميد في مسنده، حديث رقم 753، وأخرجه الدارقطني في أربعون حديثًا من مسند بريد عن أبي بردة، حديث رقم 79، وأخرجه ابن حجر العسقلاني في إتحاف المهرة، حديث رقم 9469،9835،9959،10128،10489،10582، وأخرجه الطبراني في المعجم الصغير، حديث رقم 451، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، حديث رقم 4021،4387،6103،7058، وأخرجه ابن الأعرابي في معجمه،حديث رقم 151، وأخرجه ابن المقرئ في معجمه، حديث رقم 48، وأخرجه عبد القادر بن علي بن مُحَمَّد البعلبكي في أحاديث عن شيوخ أبي مُحَمَّد البعلبكي، حديث رقم 47، وأخرجه أبو طاهر السلفي في التاسع من المشيخة البغدادية لأبي طاهر السلفي، حديث رقم 136، وأخرجه ابن رافع السلامي في مشيخة البياني حديث رقم 23، وأخرجه أحمد بن إسحاق بن مُحَمَّد الأبرقوهي في معجم شيوخ الابرقوهى حديث رقم 132، وأخرجه ابن الجوزي في مشيخة ابن الجوزي،حديث رقم 68، وأخرجه الذهبي في معجم الشيوخ الكبير، حديث رقم 731، وأخرجه السبكي في معجم الشيوخ لتاج الدين السبكي، حديث رقم 350، وأخرجه إسماعيل بن جعفر في حديث إسماعيل بن جعفر، حديث رقم 30، وأخرجه أبو جهم البغدادي في جزء أبي جهم البغدادي،حديث رقم 35، وأخرجه زاهر بن طاهر الشحامي في عوالي مالك بن أنس رواية الشحامي، حديث رقم 1،2، وأخرجه علي بن المفضل المقدسي في الأربعين المرتبة على طبقات الأربعين لابن المفضل المقدسي،حديث رقم 194، وأخرجه الذهبي في الدينار من حديث المشايخ الكبار، حديث رقم 59، وأخرجه قاسم قطلوبغا في عوالي الليث بن سعد، حديث رقم 12، وأخرجه مُحَمَّد بن المختار بن المؤيد بالله في الفوائد المنتقاة على شرط الإمامين، حديث رقم 29، وأخرجه البوشنجي في المنظوم والمنثور من الحديث،حديث رقم 30، وأخرجه عبد الله بن مُحَمَّد بن ناصح في حديث عبيد الله بن عمر حديث رقم 108، وأخرجه البحيري في الرابع من فوائد أبي عثمان البحيري، حديث رقم 36، وأخرجه أبو الحسن الطيوري في الطيوريات، حديث رقم 406، وأخرجه زاهر بن طاهر بن مُحَمَّد الشحامي في السباعيات الألف، حديث رقم 94، وأخرجه عمر بن أحمد بن علي الشماع في ثبت عمر بن أحمد بن علي الشماع، حديث رقم 279، وأخرجه ابن حجر العسقلاني في نظم

الآلي بالمائة العوالي، حديث رقم 87، وأخرجه أحمد بن موسى ابن مردويه في أمالي ابن مردويه حديث رقم 2، وأخرجه ابن بشران في الأمال، حديث رقم 785،678، وأخرجه أبو يعلى الفراء في ستة مجالس من أمالي الفراء، حديث رقم 9، وأخرجه عبد الملك بن بشران في أمالي ابن بشران (مجالس أخرى) حديث رقم 651,753، وأخرجه أبو القاسم بن بشران في أمالي ابن بشران 10 حديث رقم 51، وأخرجه أبو القاسم بن بشران في أمالي ابن بشران 12 حديث رقم 36، وأخرجه طراد الزينبي في تسعة مجالس من أمالي طراد بن محمد الزينبي، حديث رقم 63، وأخرجه ابن حجر في التغليق،حديث رقم 296، وأخرجه ابن عبد البر في إثارة الفوائد، حديث رقم 344,345، وأخرجه البيهقي في الاعتقاد إلى سبيل الرشاد، حديث رقم 236، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان، حديث رقم 4863,6864,8085,8178، وأخرجه القاسم بن سلام الهروي في الأموال للقاسم بن سلام، حديث رقم 3، وأخرجه البغوي في شرح السنة، حديث رقم 2473، وأخرجه أبو الخير بدل بن أبي المعمر التبريزي في النصيحة للراعي والرعية للتبريزي، حديث رقم 18، وأخرجه أبو نعيم في الحلية، حديث رقم 11054،7601، وأخرجه بحشل في تاريخ واسط، حديث رقم 584، وأخرجه أبو الشيخ في طبقات المحدثين بأصبهان حديث رقم 615،128، وأخرجه أبو نعيم في أخبار أصبهان، حديث رقم 2476، وأخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة، حديث رقم 4063، وأخرجه الخطيب في تاريخ بغداد، حديث رقم 3920،1654،559، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد، حديث رقم199،205،207، وأخرجه ابن أبي الدنيا في العيال، حديث رقم317، وأخرجه نصر بن محمد بن إبراهيم في تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين لسمرقندي، حديث رقم 336، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في فضيلة العادلين من الولاة لأبي نعيم، حديث رقم 3،2،1، وأخرجه الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه للخطيب، حديث رقم 110، وأخرجه أبو حاتم بن حبان في روضة العقلاء لابن حبان، حديث رقم 122، وأخرجه البيهقي في الآداب، حديث رقم 55.

(19) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 18005، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى، حديث رقم 5936

(20) أخرجه أبو داود في سننه حديث رقم 3742، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، حديث رقم 6701، وأخرجه الداني في السنن الواردة في الفتن، حديث رقم 366، وأخرجه ابن عساكر الدمشقي في تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الأشعري، حديث رقم 35.

المراجع

- القرآن الكريم.
- كتب السنّة المطهرة

1- صحيح البخاري.
2- صحيح مسلم.
3- سنن الترمذي.
4- سنن النسائي.
5- سنن أبي داود.
6- سنن ابن ماجة.
7- مسند أحمد.
8- موطأ مالك.
9- سنن الدارمي.

- لسان العرب: ابن منظور، دار صادر، لبنان، (د. ت.)
- المعجم الوسيط: أنيس وآخرون، مكتبة الشروق الوطنية، الطبعة الرابعة، (د.ن.)، (د.ت)
- فقه الدعوة إلى الله: علي عبد الحليم محمود، دار الوفاء، المنصورة، ط4، 1993م.

- تأويل الخطاب الديني في الفكر الحداثي الجديد، د.أحمد عبد الله الطيار، بحث محكّم، مجلة كلية أصول الدين القاهرة، ع. 22، 2005م.
- نحو خطاب إسلامي مرتبط بالأصل ومتصل بالعصر، د. عصام أحمد البشير، سلسلة دراسات في الفكر والواقع، منتدى النهضة والتواصل الحضاري، الخرطوم، ط1، 2011م.
- ، تأويل الخطاب الديني في الفكر الحداثي الجديد، بحث محكم، د.أحمد عبدالله الطيار، مجلة كلية أصول الدين، القاهرة، ع. 22
- نحو خطاب إسلامي مرتبط بالأصل ومتصل بالعصر، د. عصام البشير، الخرطوم، ط1، 2011م
- إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، مُحَمَّد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، طبع دار جيل، بيروت، 1973م .